البعد الاجتماعي في الرواية النسوية المغربية "مخالب المتعة لفاتحة مرشيد نموذجا"

The social dimension in the Moroccan feminist novel “Claws of Pleasure” by Fatiha Murshid as an example

الباحث الأول: جعفر لعزيز- الباحث الثاني: الدكتور أحمد بوعنان
طالب باحث في صف الدكتوراه، بالمدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس
من المغرب، مختبر: اللغة والتربية والمجتمع، وحدة الكتابات الأدبية بالمغرب
Jaafarlaaziz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/10/2 تاريخ القبول 10/7 / 2023 تاريخ النشر: 2023/10/15

ملخص البحث: أبانت هذه الدراسة المحامل الدلالية والأبعاد الاجتماعية في الأدب الروائي النسوي المغربي، بتخصيص رواية "مخالب المتعة" لفاتحة مرشيد نموذجا لتحقيق ذلك، بوصفها رواية نقلت مجموعة من القضايا الاجتماعية التي يشهدها الواقع المغربي، فقد عبرت عن معاناة الشباب المغربي، وأوضحت مطالبهم، صورت واقعهم المعيش مع البطالة والفقر والتهميش، واقتربت من موضوعة الجنس وعلاقتها بالمتعة، دفاعا عن قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع. وإن لمخالب المتعة بوصفها نصا شعريتها الأدبية، المتجلية في تصوير الواقع ومعاكسته وإيضاح واستيضاح نواقصه ومساوئه، وعبر شخصيات الرواية عبّرت الكاتبة عن مواقف اجتماعية وسياسية وتربوية، تتطابق مع الواقع المغربي المعيش، سواء المتعلقة منها بالمرأة أو الرجال. والأساس من هذا العمل، أن فاتحة مرشيد، تحتفي بالأنوثة مكسرة قيد الهيمنة الذكورية، بخلق فسحة تأملية، تقدر فيها قيمة المرأة في أنوثتها لا في جسدها، وباحتضانها والإعلاء من شأنها.

الكلمات المفتاحية: البعد الاجتماعي، الرواية النسوية المغربية، مخالب المتعة، لفاتحة مرشيد نموذجا.

Abstract: The present article highlighted the social dimensions and perspectives in Moroccan feminist novel literature as a general frame and the novel “claws of pleasure” of Fatiha Morchid. The novel portrayed numerous social issues in the Moroccan spectrum such as the suffering of its youth, their requests in addition to the theme of sex in relation to pleasure defending the value of woman and society, The poetic view of “claws of pleasure” is best seen through the projection of reality via the characters of the novel in specific social situations of Moroccan real life whether in relation to women or men, The main purpose behind this article is to manifest the celebration of Fatiha Morchid’s opposition to the patriarchal dominance through a reflective maze that best values women worth without being objectified in their body.

Keyword: The social dimension, the Moroccan feminist novel, Claws of Pleasure, by Fatiha Murshid, is an example.

البعد الاجتماعي في الرواية النسوية المغربية "مخالب المتعة لفاتحة مرشيد نموذجا"

مقدمة:

تركت لنا فاتحة مرشيد في الرواية أمورا مفتوحة لا نهائية، لتشغل بال القراء والنقاد بهذا الانفتاح، انفتاح يفتحنا على باب من أبواب المستقبل الراهن، وعلى آفاق الإنسانية الكائنة والممكنة، كما تقول الرضة السردية، وتجعلنا الروائية في مخالب متعتها أن نتأمل الواقع المعيش بأبعاده الاجتماعية وأشكاله المتباينة وألوانه المتعددة، وأن نكتشف حال الواقع، وتتبدى معالمه مرسومة للقارئ داخل العمل السردي، الذي نرغب في مقاربته مقاربة اجتماعية؛ إذ نصله بإشكال نطرحه كالآتي: ما تجليات الواقع الاجتماعي في رواية مخالب المتعة؟ سؤال إشكالي يشتغل داخل دائرة أدوات المنهج الاجتماعي، ويهدف بنموذج اشتغاله إلى خلخلة ما تضمره الرواية من بواطن لا متناهية، ونتغيا من توظيفه أيضا التطلع إلى معرفة محمولات الرواية الدلالية، ومحاملها الواقعية والاجتماعية، وفي المجمل، إن فاتحة مرشيد قد تركت للناقد ما يلهو به، ويلعب به، ضمن ما ينعت باللعب القرائي الخلاّق، ولإبراهيم نصر الله قول طريف عميق في هذا الجانب، حينما قال: **"وقد جرت العادة أن ينشغل النقاد بالنهايات المفتوحة التي يختتم بها الراوي العليم الروايات، تاركا لهم شيئا يلهون به، فهو يعرف، أي الراوي العليم، أن النقاد الأذكياء كالأطفال، عليك أن توفر لهم شيئا ما يلهون به، وإلا فإنهم سيتعبونك حقا"[1].**

نص يؤكد بأن الرجل سديد القول، دقيق العبارة، نافذ البصيرة، عالم بأحوال النقاد ومطالبهم، وههنا يعلي من قيمته باعتباره راويا عليما، ومن قيمة النقاد بوصفهم أذكياء، وطبعا فقد تركت الكاتبة في عملها الروائي أشياء تلهينا وتشغلنا لنبحث لها عن تآويل مستضمرة ومنافذ متعددة، نفتحها لنطلع على المباني المجتمعية في الرواية.

وسيتم إبراز المحامل الاجتماعية، بالاقتراب من نصوص الرواية، التي سنمارس عليها عملية القطع القرائية، ثم نحدد معانيها ومضمراتها، لكون أن العمل الأدبي غير خاص بصاحبه ومؤلفه فقط، وليس بالضرورة أن نقف عند مقاصده التي يعبر عنها ظاهرا، بل نتعدى ذلك لجعل ما نراه في العمل متقاربا مع تمثلات القارئ أو المتلقي، وقابلا للمشاركة مع مظاهر المجتمع، وكما يقول تيري إيغلتون في كتابه: "كيف نقرأ الأدب": **"إن العمل الأدبي لا يمكن أن يعني شيئا ما لي أنا وحدي، فأنا قد أرى فيه شيئا ما لا يراه غيري، لكن ما أراه ينبغي من حيث المبدأ أن يكون قابلا لمشاركة الآخرين فيه كي نسميه معنى"[2]**، وينبغي أن نكون حذرين حذرا شديدا من الرواية؛ لأنها غالبا ما توقع القارئ غير الحذر في الفخ، وخاصة القارئ الذي يزعم أنه قادر على جذب مجمل خيوطها. "إنها تنصب فخا" كما قال ايغلتون، ولحقيق أن تكون مخالب المتعة مليئة بالفخاخ المضمرة، التي ينبغي أن نكون حذرين منها جدا، وأن ننصت لهمساتها المتبطنة، وأن نملأ ثقوبها، وأن نعرف تناصاتها، كلُّ هذا وغيره، ستكتشفه آليات المنهج الاجتماعية المرحة والقرائية، مرحةٌ بوصفها تجعل الناقد مرحا في عملية كشف مداليل الرواية، وقرائية، لأنها تعمل على الحفر في نص مخالب المتعة، بخلفية معرفية، ستسهم في خلق تجاذبات نصية متباينة، نخلق من خلالها نصا آخر.

وسنعمل على تأويل الرواية باستخراج محاملها الاجتماعية والثقافية كالآتي:

المحمل الأول: "اللعب القرائي في مخالب المتعة"[3]

مخالب المتعة، عبارة استعارية، توحي بدلالات متعددة، وهي أن المتعة ليست بالضرورة إيجابية، بل هناك متاعات تجلب الدمار والهلاك لصاحبها، والمضمر في العنوان أن للمتعة مخالبا متعددة، منها الخيانة والغدر والانتقام، المتعة في الحياة ليست يسيرة، فالوصول إليها أمر عسير وشديد، وتحقيقها يقتضي عيش خيبات أمل كثيرة، والأمر الآخر، هو أنه لا ينبغي البحث عن المتعة في الجسد الأنثوي أو الذكوري فقط، بل ينبغي جعل المتعة مسكنا للوجود، الاستمتاع بجميع خواصنا في الواقع المعيش.

المحمل الثاني: الشباب وزمن الشدة

---

[1] – نصر الله إبراهيم، حرب الكلب الثانية، الدار العربية للعلوم– ناشرون، ط1، 2016م، ص27.

[2] – تيري ايغلتون، كيف نقرأ الأدب how to Read littérature، ترجمة محمد درويش، مراجعة وتحرير، مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1/ 2013م، ص186.

[3] – فاتحة مرشيد، مخالب المتعة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2013م,

الشباب المفعم بالنشاط، والمليء بالأحلام والطموحات، والألصق بالحياة ومتعتها، ينبغي أن يعيشوا حياة سعيدة، مليئة بالأفراح والمباهج، وبعيدة كلّ البعد عن الأتراح والأحزان، ولا يستحقون تلك التعاسة التي تلاقيهم في طريقهم، ولا البؤس الذي يرافقهم ويصاحبهم، ولا البكاء الذي يحرق أكبادهم، هم اليوم كما تبرز الرواية أقرب من الحزن والامتقاع، وأبعد من الفرح والاستمتاع، وهم أقدر الناس على الاستنشاط والمضاحكة والاستملاح، وهم بالمتعة أحق، ولكنّ هذا الأمر الأصلي الذي يجب أن يتسم به الشباب غير كائن، كما تنقله الرواية، إنّ أبسط أحلامهم تدخل ضمن المستحيلات، تتربصهم المكائد والمتاعب، وتتصادف معهم محزنات الحياة، الطعم المرير، وحده الذي يتذوقه الشباب المغربي، إنّ فاتحة مرشيد تقربنا الشباب المغاربة، في بناء حياتهم، وتحقيق أحلامهم، والوصول إلى مطامحهم ومساعيهم، إلا أنّ هناك مانعا شديدا، يحيل دون تحقيقها، هو العطالة عن العمل، واستمرارية زمن الشدة الذي أمقتهم الحياة. إنّ شدة الحياة في المغرب تكون مانعا رئيسا لتحقيق الشباب للحياة السعيدة والماتعة، وهذا ما تبديه فاتحة مرشيد بقولها:

"أن تكون عاطلا عن العمل فأنت حتما عاطل عن الحب...عاطل عن الحياة"[1]

بالقراءة المتأنية للمقطع المأخوذ من الرواية، يتبدى إلى أنه يوحي إلى قضية اجتماعية مريرة وأليمة، مظهرها، مشكلة البحث عن العمل، أو إيجاد وظيفة يكافي بها الشاب نفسه، وحاجات أسرته ومطالبها، ففي عدم تحقيق هذا المطلب، تنعدم الحياة، وينعدم معها الأمل في العيش، وتتعطل فيها جميع تعالقات الحياة الماتعة، فيظل الشباب عامة، والمغاربة خاصة، مقبوعين ومقموعين، وعجزهم عن الاستمتاع، إنهم مسكورون؛ لأن الشباب أسكرهم، فهو أشدّ إسكارا من الخمر، وكما قال الثعالبي: "فسكر الشَّبَاب أَشد من سكر الشَّرَاب"[2]. والنص هنا ندائي وصراخي وبكائي، نداؤه مفجع للدولة العاجزة عن توفير اليد العاملة، وصراخي في ضياع الزمن، وعيش انتكاسة يضيع فيها العمر بين سهر الليالي والبحث عن العمل، وبكائي لأن الشاب المغربي يتأسف ويتباكى لعجزه في تحقيق مساعي الأسرة، وعليه، فأن تكون عاطلا عن العمل، هو أن تتأزم حياتك، وأن تتوقف حياتك، وأن تتعطل مشاعرك، وأن تتجمد أحاسيس حبك وعشقك، وأن تبتئس ما لم تجد ما يسدد لك هذه المطالب، جاء في الرواية على لسان شخصية أمين قوله:

"كعادتي، أجلس في زاوية من المقهى بعيدا عن عيون المارة. أتحسس جيبي، أطمئن، على وجود ثمن قهوة وسيجارتين بالتقسيط. مصروف تدسه أختي كل صباح في جيب بنطلوني، تفاديا لإحراجي، قبل أن تذهب إلى صالون الحلاقة حيث تعمل في التجميل...كعادتها، كل الإعلانات الموجهة للعاطلين، تبحث عن خريجي الاقتصاد أو الإدارة أو الإعلاميات...ما نفع الجغرافيا إن لم أنجح في اختيار جغرافية تناسبني أكثر، كما فعل الذين هاجروا إلى حيث لا حياء في شغل؟"[3].

تمظهر أن أغلبية الشباب المغاربة، حياتهم شبيهة بحياة أمين، حياة يعيشونها في المقاهي والشوارع بحثا عن عمل يحققون به معنى الحياة، ويصلون به إلى السعادة والأفراح، مآسيهم في البحث عن العيش لا متناهية، وعطالتهم عن الحياة تمتد كل يوم، ويتولد منها البؤس والامتقاع، وينتج عنها المظظ والألم، ولأن تخصص آمين، تخصص في الشعبة الأدبية، فإنه يجسد معاناة هذا الصنف في البحث عن الاستقرار، فأغلب المناصب التي تعلن عنها الدولة لا تتناسب واتجاه الشعب الأدبية، وهاهنا إشارة إلى أن الحكومة لا يهمها الاهتمام بتخصصات الآداب والعلوم الإنسانية، إنما تهتم بالعلوم العملية والتجريبية، فهي تخلق مجالا للشغل، أما الآداب فعالة ومنقصة لا أهمية له، فلا نفع للأدب ولا للجغرافية والتاريخ في المغرب. ومن ذلك قول طه حسين: "هناك فريق من المثقفين الممتازين عندنا يضيقون بالتعليم النظري الخالص ويخلقون لأنفسهم صورًا غريبة غامضة، ولكنّها مناقضة كلّ المناقضةِ للصّورة التي عرضناها، فهم يريدون من التعليم أن يكون وسيلةً سريعة مضمونة للإنتاج الملموس في الحياة العملية. وهم من أجل ذلك يضيقون بالتعليم في الآداب والفلسفة والتاريخ

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2]– أبو منصور الثعالبي، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تح: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت / لبنان (ص62).

[3] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

والحقوق، ويعجبون إلى غير حدّ بالكيمياء والعلوم الزّراعية والاقتصادية وما يشبهها من هذه العلوم التي تتصل بالحياة المادية القريبة اتصالا ظاهرا، وقد يختلط الأمر على بعضهم فينتهي بهم إلى الأعاجيب"[1].

نص طه حسين، يتماشى مع فكرة الوعي الجمعي لدى مجموعة من المغاربة، الذين يسيئون الظن بالتخصص الأدبي، ويمتقعون بأهله، فيجعلون أنفسهم مفكرين فاهمين للحياة الفكرية والتعليمية، ونص فاتحة مرشيد، يجلي أمرا آخر، ظاهر في أنّ الأنثى هي مصدر الدفء في الأسرة المغربية، في ظل عجز الشاب عن إيجاد العمل، وعدم نجاحه في إعالة الأسرة، تظل الأنثى في البيت المغربي الأساس الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فهي تبحث عن العمل، وتساند أسرتها في شراء حاجاتهم، وجعلهم يعيشون عيشا كريما، وحياة هانئة، وفي ربط هذه الجوانب بالأدب النسوي، نقول: إن فاتحة مرشيد تدافع عن الذكورية بلسان نسوي، تطالب بحقوق الشاب المغربي، وتصور عالمه المعيش، وتتغيا في ذلك بعث رسالة مضمرة أساسها، جعل الشباب بصيغة المذكر والمؤنث عنصرا فعّالا في المنظومة الفكرية والأدبية والاقتصادية، وجعلهم يعيشون حياة ماتعة دون مخالب.

المحمل الثالث: النضال والاعتصام تجاوزا للعطالة

آخر فسح مناشدة الدولة بغية البحث عن العمل، ليس هو الدراسة والكد والاجتهاد، وتقديم الشهادات وتوزيعها، والصمت والانتظار، إنها أمورٌ ومسائلُ لا تعطفُ لها الحكومة، ولا تحرك سكونها، فلا يزيدها ذلك إلا صمتا وانكماشا، إنما يتخذ الطلبة العاطلون عن العمل النضال أساسا لإشاعة مطلبهم، وتحريك بال المسؤولين بغية إعلان وظائف متعددة في مختلف المجالات، يناضل الطلبة المجازون، لعدم حصولهم على وظيفة أو عمل ومن ثمة، يلجؤون إلى النضال والاعتصام من أجل تحقيق مطالبهم المشروعة، وهي الحق في العمل، سنوات عجاف من الدراسة والسهر، والتعب والمشقة، والصبر على الجوع، تنتهي بالطالب العاطل المجاز في الساحة النضالية، لكي يطالب بحقه، وهذا ما يبرزه المقطع الآتي:

"سنة ونصف تقريبا، قضيتها موزعا بين البحث عن عمل، والمشاركة في كل التظاهرات الاحتجاجية التي يقوم بها أمثالي من العاطلين أصحاب الشهادات العليا، إضافة إلى الاعتصامات أمام البرلمان والوزارات المعنية دون أن نلقى آذانا مصغية، حتى الإضراب عن الطعام، الذي كاد يؤدي بجسدي النحيل، لم يجد نفعا"[2].

النص مصور للواقع الاجتماعي، ولأشياء دائمة لا تنتهي، فإن العاطلين مقادون أمام أمر واحد، العمل أو النضال، لا يرضون أن يكونوا مثقفين ومجازين، وأن يذهبوا إلى الاشتغال في أعمال أخرى لا تناسبهم، لو كانوا يعلمون أن مصيرهم الشارع لما ولجوا الكلية، ولما لبثوا فيها يوما واحدا، لا يصدقون أن تنتهي متاعبهم ومصاعبهم بالإضراب عن الطعام، أو الاعتصام أما قبة الفساد، ثلاث سنوات عجاف، وزد عليها سنتين من القحط في الماستر، ثم خمس سنوات من الضياع في الدكتوراه، تضيع في لا شيء، هذه هي مخالب المتعة، نستمتع بالعلم، لتنزرع فينا مخالبه بالعطالة عن العمل. ومن ثمة فيناضلون من أجل كرامتهم، ومن أجل حقهم، دون الخوف من القبوع في سجن الظلمات، إنّ سجنهم أفضل ميزةً من جلوسهم في المقاهي، ومكوثهم في بيوتهم دون عمل وقوت، ويشبه هذا قول الشاعر عمر ابن الشّحنة[3]:

لا عار في السّجن للأحرار إن سجنوا ... بغير جرم ولكن سجنهم شرف
كالسّيف والدّرّة الزّهراء سجنها ... خوفا وضنّا بها الأغماد والصّدف

وقول عيسى بن البحتري لما حبس مخدومه:

إن يحجبوك عن الأبصار لا عجب ... اللّؤلؤ الرّطب قد تكتنّه الصّدف
أو يظلموك فصبرا وانتظار غد ... فإن ربّ الورى لا شك ينتصف

---

[1] – طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م، ص391.

[2] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[3] – صفيّ الدين الحلبي، أنس المسجون وراحة المحزون، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط1، ١٩٩٧ م (ص127).

الطلبة المجازون في العطالة والبطالة بالمغرب والعاطلون عن كل شيء يجعلهم يعيشون حياة هانئة، يضطرون للمخاطرة بحياتهم وأنفسهم بغية ضمان حق العمل، وبغية تحقيق السعادة، يناضلون من أجل الحرية والكرامة، ولا تهمهم سجون الدولة واعتقالات المخزن التعسفية، وركلهم ورفسهم المستمر، يفضلون السجون على البقاء دون عمل.

المحمل الرابع: البحث عن المتعة في الجنس

ممارسة الحب أو الجنس، شيء نعتبره رذيلا في المجتمع، ويسيء الأمر لممارسه ما لم وثاقة أو عقد شرعي، ولكن الجنس يظهر في الرواية باعتباره بديلا عن الحياة العاطلة، أو الفسحة الوحيدة التي تنسي الإنسان العاطل معاناة الحياة، فالجنس مهنة البعض، ومصدر قوتهم، لا هم لهم في حرامها، ولكن هدفهم الأساس هو الاستمتاع به، وجعله مصدرا للمتعة في الحياة، هذا ما تبرزه الرواية، في شخصية عبد العزيز، الذي جعل ممارسة الحب البديل الأسمى الذي لجأ إليه، بعد أن فشل في إيجاد عمل يحقق به طموحاته، ومساعيه وأهدافه، لم تنفعه دراسة التاريخ والجغرافيا، ولم تسعفه كثرة البحث، بل أسعفته ذكوريته لإمتاع النساء الكبيرات، اللواتي يئسن من حياتهن، وفقدن جمالهن وأناقتهن، فأردن أن يسترجعن شبابهن الماتع والأنيق، والمائز والنشيط، فيبحثن عن الشباب العاطل، ليمتّعهنّ متاعا جميلا، وتسديد المال لهم مقابل ذلك، وجاء في الرواية على لسان عزيز:

"لا توجد دراسة غير مجدية، المهم أن توظف معلوماتك، وتعرف كيف توجهها التوجيه الصحيح...على جغرافية النساء: هضاب ووديان وسفوح ومغارات...ما كنت لتتخيلها، لا توجد في أيّ من المراجع التي سهرنا الليالي في ازدرادها...يا حسرة على الزمن الضائع...أنا لا أكلمك عن حب المراهقات، اللواتي ينتظرن منك أن تؤمن لهن تذكرة سينما، وساندويتش ما كدونالد، مقابل رسائل حب ودموع لا تسمن ولا تغني من جوع، أنا أتكلم عن النساء الحقيقيات، صاحبات العطاءات من غير حساب"[1].

وجد عزيز في الجنس ما لم يجده في السنوات التي ضيعها من أجل تحصيل العلم وتكوين الشخصية، والحصول على الشهادة التي لم تخول له تحقيق وظيفة قارة، فقد كان المجال ممارسة الجنس مفتاحا للمتعة والعيش الكريم، حيث ينام مع نساء مضى عليهن الزمان وانقضى، فيبحثن عن متعة أخرى، باستغلالهن هوس الشباب العاطل، واستدراجه للاستمتاع معه مقابل المال، الذي يغري المثقف والجاهل، ويتناسب هذا الأمر ويتداعى مع الواقع المغربي المعيش، إذ نجد فئة من الشباب يلجؤون إلى ممارسة الحب كبديل يغنيهم عن الوظيفة التي يعجزون عن تحقيقها. تتجسد المتعة في التضاجع مع نسوة كبرن ويئسن من الحياة المملة التي أقبلن عليها، حياة لا تعاش مع الأسرة، فيوظفن ما تبقى لهن من جسدهن المليء بفراغات جغرافية وجمالية وصلت حد القارة الأوربية، وإنّ جسدهن المهترئ لا يغري الشباب اليائس، بل إن ما يقدمهن من الأموال هو ما يغري وما يمتع، مع أن ذلك مخلب ماتع. وفي مقابل المتعة هناك تحسر شديد على الزمن الضائع، الذي يضيع في لا شيء، يضيع بين أسوار الجامعة، ومضيقة الكتب والمراجع، من أجل تحصيل شهادة تلقي بهم في ضلالة يائسة، ومأساة فظيعة. في الاستمتاع بجسد مليء بمعاناة القارة الإفريقية وجفافها، ففي ظل العطالة عن العمل، يلجأ العاطلون إلى متعة تنشب فيهم مخالبها، استغلال النسوة اليائسات ما تبقى من حياتهن في متعة زائلة ومحدودة، لكونهن لا يجدن بديلا عنها في منازلهن، مع أزواجهن، الذين يبحثون أيضا عن مراهقات بديلات، يبحثن عن مال، يحققن به مطالبهن اللامتناهية. وهذه من المعادلات العجيبة التي تجسدها الرواية، استمتاع الشباب من الذكور مع نساء كبيرات، والشباب من الإناث مع رجال كبار، كلّ شيء من أجل المال، ونتيجة ذلك متعة زائفة وشباب ضائع.

وفي سياق الحديث عن الشباب الذين يبحثون عن المتعة، فتبرز الرواية جانبا آخر، هو الاستهواء الشبابي الذكوري للأنثى، واستغلالها بالكلام المزيف، واستدراجها للاستمتاع معها، يتبدى هذا في أن فاتحة مرشيد تضمر أن الشباب نوعان، شباب ملتزم، لا يحترفون استدراج الإناث، وآخرون مصدر مالهم الكلام، يستهوون الإناث، ويعشون معهن علاقات حب مزيفة، ماتعة مشدود أمرها إلى التلاشي والانتهاء، فكل علاقة مبدؤها المتعة الجسدية فمنتهاها التماهي والفناء، ولكن مخالبها أن مزيفة، تخلق مزقا ذاتيا وخرقا في المشاعر، وهذا الأمر بادٍ في حياتنا اليومية، نعرف شبابا همهم الوحيد- التلاعب بالإناث، غرض المتعة، وشبابا صادقين لا يعرفون كيفية

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

الاستدراج، أو بالأحرى يخشون جعل مشاعر الأنثى مصدرا للعب والعبث، يخافون استفزاز أحاسيس صادقة، والدليل في الرواية ما جاء على لسان أمين، متحدثا عن شخصية عزيز التي ترمز إلى الشباب الاستهوائي:

"كان ينتقل بثقة في بهو الجامعة، وكنت خجولا أحتمي بالجدران. كان يحسن فن غواية الفتيات، وكنت أحسن الفرار كلما ورطني مع إحدى الطالبات...، وكلما حاولت أن أتحدى خجلي وأتصرف مثله، خانتني اللباقة وسقطت في مواقف مثيرة للسخرية لأعود وأندم على تصرفي"[1].

فن الغواية أو الاستهواء متعة تنشب مخالبها في قتل مشاعر الحب والعشق، وتوليد الكراهية، وكشف زيف الكلام، المطعم بتلون يزين العلاقة بين العشقين، على أنها علاقة حقيقية ومقدسة. الاستمالة جزء يتقنه الشباب، يوظفونه لسد شهوة تتعالى عليهم، رافعة شأنها، ومشعلة نارها، يتم اخمادها بمتعة مزيفة، يمهد لها الشاب بغواية الأنثى واستهوائها، غاية قضاء الحاجة، وانهاء العلاقة. هذا ما تضمره الكاتبة وراء هذا المقطع، الذي يظهر كلاما عاديا، هو أن عزيز شخصية متلونة متقنة لفن الغواية، وشخصية عزيز، الراغبة في البحث عن الحب بدلا عن التزييف، وباطن النص، أن هناك نوعين من الشباب في العالم عامة، والمغرب خاصة. نوع يبحث عن العشق المقدس، ونوع آخر يبحث عن الاستمتاع أو المتعة التي تمتد مخالبها نحو الكراهية والحقد والتلاعب والكذب في العلاقات.

وتتناص شخصية أمين، الراغبة في البحث عن حب حقيقي، تتجلى فيه قيم المتعة الشرعية أو المشروعة، مع آية قرآنية، يوصي فيها الله تعالى، عدم التلاعب بالمرأة، وعدم وعدها بالزواج سرا، ما لم يكن القول صادقا، فيه حق ومعروف، فإغواء الأنثى بالزواج وإغراؤها بالحب والعشق المزيفين، أمر غير محمود ما لم يكن حقيقة، وعليه، فالنص القرآني يقدس المرأة ويعلي من شأنها، قال الله تعالى:

"وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا"[2]

المحمل الخامس: الأنوثة المقدسة

تقديس الأنوثة والمرأة في المجتمع المغربي لا مظهر له أساسا، فهي غير مقدرة ولا شأن لها، ولا قيمة، الظاهر عندنا في الواقع أنها مجرد سلعة، ودورها البقاء في البيت دون ممارسة الحياة مثل الذكر، وهذا ما يبرز الهيمنة الذكورية في المجتمع، ولا يحق للأنثى أن تمارس أنوثتها كما يفعل الذكر، فممارستها الجنس باعتباره حالة طبيعية وإنسانية عند فاتحة مرشيد، يعد فضيحة مهولة، وجريمة لا يسمح عليها المجتمع. ومطلب الكاتبة واضح، وهو جعل المرأة تستمتع بالحياة كأنثى، فلها خصوصياتها ومميزاتها، ولا ينبغي الانتقاص مما تفعله، فحياتها لا تقف عند حدود الجدران في المنزل، بل تتعدى ذلك لتمارس أشياء أخرى، تسمح لها بتقديس نفسها، وتخول لها بعيش حياتها على أكمل وجه، وفي أوفى المنازل وأرقى الديار. ويتوافق هذا الأمر مع نص للجاحظ في الرسائل، يقول: «ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل: إن النساء فوق الرجال، أو دونهم بطبقة أو طبقتين، أو بأكثر، ولكنا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزراية، ويحتقرونهن أشد الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن»[3].

رغم ما جاء في كتاب الحيوان، من مسائل تنتقص من المرأة، وتحط من قيمتها، فقد أنكر الجاحظ من يزرون حقها وينتقصون من قيمتها، ويحتقرونها أشدّ احتقارٍ، ويبخسونها حقوقها، ويحرمونها من حاجاتها ومطالبها، فالمرأة مقدسة، والمرأة تسهم في الخلود، إن الأنوثة لصيقة بقداسة شهرزاد، الموكولة بصفة الخلود. وتنتقد الكاتبة الإنسان الذي يقدس المرأة بوصفها امرأة، وبكونها ملاكا أو شيئا مثاليا، بل ينبغي التعامل معها باعتبارها إنسانا، له ما له، وعليه ما عليه، جاء في الرواية ما يلي:

"أن تحترم المرأة هو أن تحترم أنوثتها، أن تعترف بحقها في المتعة، لا أن تقدسها. المرأة ليست لا تمثالا ولا ملاكا ولا شيطانا حتى. إنها إنسان وأنت إنسان. مارس إنسانيتك يا أخي، ودعها تمارس إنسانيتها دون نظريات جوفاء"[4].

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2] – البقرة: الآية 235.

[3] – الجاحظ، الرسائل الأدبية، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م، ج3، ص151.

[4] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

المقطع مؤكد لما تحدثنا عنه، فلا بد من احترام أنوثة المرأة، والاعتراف بحقها في المتعة، وعيش حياتها كما تريد، ولا يصح تقيدها بشروط مؤسساتية مجحفة، أو نظريات لا محل لها من التطابق مع متطلباتها المعيشية. فلها الحق في فعل ما تريده، ورفض ما تنفر منه، لها السلطة العليا في تقرير مصيرها، سواء كان سجنا أو متعة، وما إن فرضت عليها ضوابط مقيدة، فإن أنوثتها تموت وتتلاشى في الأوامر والنواهي، والرفض والقبول، للتأكيد على هذا نستحضر مقطعا آخر تقول فيه الكاتبة:

"اضطهاد المجتمع للمرأة جعلها تتعلم كيف تمارس الحياة حتى وهي وراء القضبان، جعلها تتقن فن البقاء على قيد الحياة، تعلمت الكثير من هؤلاء النساء، تعلمت منهن العطاء في الحب، تعلمت أن تكتمل متعتي بمتعتهن، أدركت إلى أي حد كنت أنانيا، وهمجيا، وجاهلا بجسد المرأة ومتطلباته"[1].

إن التعنت الذي يمارسه المجتمع على المرأة كان سببا رئيسا في إجادتها عيش الحياة، وإتقانها لتحقيق مطالبها، بقاؤها في المنزل منحها أساسيات الحياة، فالمرأة مؤسسة يتعلم منها المرء العطاء والحب، والمتعة. يتأكد أن فاتحة مرشيد تعلي من قيمة المرأة، لدرجة أن حياتها وراء القضبان حياة ماتعة بالنسبة إليها؛ لأن ذلك علمها تداعيات فن العيش، علمها أسرار وخبايا التعامل مع الناس، أسس لها مبادئ، تكون فيها معطاءة وإنسانية تعطي الحب وتقدم بناءً جديدا للبشرية، تعامل الرجل مع المرأة كجسد، بمثابة أنانية وهمجية، فينبغي جعل الجسد ملجأ للتأمل، ولوحة فنية تتداعى فيها مطالب المتعة، جسد المرأة ليس لعبة، بل جمال استطيقي، فثمة فيها مناطق ذهبية يتم إغفالها، جاء في رواية "حفلة التفاهة"، لميلان كونديرا، ما يلي: ""على جسد المرأة الايروتيكي، ثمة بضعة أماكن ذهبية، ظننت دوما أنه يوجد منها ثلاثة أمكنة، الفخذين والردفين والنهدين"[2].

نسق تأملي لجسد المرأة، أبان بأن له متطلبات عديدة، لا تقتصر على ممارسة الحب فقط، بل يقتضي وقفة تأملية، فهو لوحة فنية لا متناهية الألوان، وغير محدودة المعاني والدلالات، اختصار المرأة في الممارسة إهانة، وتأملها وإمعان النظر في جسدها تقديس لعالم الجمال، ولفن الإبداع الإلهي، الذي صورها وأحسن تصوريها، بما يستهوي الرجل المتأمل لا الممارس، فالأول متعته تنتسب إلى اللانهائي الجمالي، والثاني، متعته تنتهي فور انتهاء الممارسة، تنقطع لأن حدها محدود، وهو الحصول على المتعة فحسب.

المتعة لا ينبغي أن تكون مقتصرة على المرأة المتمتعة بالسن الذهبي، بل حتى على المسنات أيضا، وهذا ما تبرزه الرواية، كنسق متعلق بتقديس أنثوية المرأة لا جسدها، فالاقتصار على جسدها كما أشرت حد من قيمتها، والنظر إليها كأنثى تقديس لها، فمتعتها لا تنقضي، ويحق لها الاستمتاع بأنوثتها في جميع أحوال سنها، فهي لا تؤمن بانتهاء الحياة، إنما تؤمن بالمتعة في الحياة، فكما يستطيع الرجل الاستمتاع بحياته وإن كان شيخا، أو بلغ من الكبر عتيا، فيحق أيضا للمرأة المسنة أن تستمتع بحياتها ولو أقبلت على فترة الانتهاء والتلاشي، جاء في الرواية ما يلي:

"لنفرض أن كل ما قلته صحيح. لماذا عندما يتعلق الأمر برجل مسن يدخل في علاقة مع فتاة في سن حفيدته يعتبر الأمر عاديا، بل وضروريا لتوازن ما. وعندما يتعلق الأمر بامرأة تعاشر رجلا أصغر منها سنا تصبح المسألة غير مقبولة بل ولا أخلاقية"[3].

معاشرة المرأة لرجل أكبر منها سنا، مسألة غير محمودة في المجتمع، وغير محببة، لا يحق للرجل أن يتزوج بامرأة أكبر منه سنا، بل ويعيب عليه هذا الأمر، فهذا الوعي المشترك للمجتمع تنتقده الكاتبة، وتدافع عن حق زواج المرأة برجل يكبرها سنا، فهي تريد المتعة والحياة والعطاء، ولا هم لها في السن، دوامة المتعة لا مقياس لها، لا محدد لها، وعليه، فإن المضمر ههنا، أن فاتحة مرشيد، تبرز كيف ينظر المجتمع للذين يتزوجون نساء أكبر منهم، فهن لا يمتلكن قوام المتعة، أصبح جسدهن غير قابل للمتعة، هذه نظرة انتقاصية، تضيق الحياة على

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2] _ ميلان كونديرا، حفلة التفاهة، ترجمة: خالد بلقاسم، المركز الثقافي العربي، ص102.

[3] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

المرأة. فمعاشرة الرجل لمرأة صغيرة يعدونها مسألة عادية، وحينا يتعلق الأمر باحتضان المرأة لرجل أصغر منها، تقوم قيامة الانتقادات، والرفض، والتكابر، والتلاسن. والعبارة التي تؤكد هذه المسألة، هي قول الكاتبة: **"عش ودع غيرك يعيش"[1].**

يتم استغلال الإناث وقهرهن باشتغالهن في البيوت، وسبب الاستغلال راجع إلى الأبوة المتجبرة، التي يهمها اكتساب المال فقط، متى رأى الأب مكانا تحصل فيه ابنته مالا كثيرا، يرسلها، ولا شأن له في شرفها، وراحتها، وسعادتها، وهذا ما تجسد في شخصية ميلودة، فقد ذهبت إلى الدعارة السكر، نتيجة الأبوة القاهرة، وتوصي الكاتبة ههنا، باحترام الإناث، وتوفير مطالب العيش الكريم لهن. والمقطع الدال على قهرهن هو كالآتي:

"كان والدي كلما وجد بيتا يدفع أكثر نقلني إليه، ظللت على هذه الحال مدة عشر سنوات، تزوجت بعدها بسائق كان يشتغل بنفس البيت الذي أشتغل فيه، أنجبا طفلا وبدأنا نخطط لمستقبله متعاهدين على الإخلاص والتعاون، إلى أن ظهرت امرأة قال إنها تدبر لنا عقد عمل في إحدى دول الخليج"[2].

المرأة تعيش عذابا قاهرا، ما لم تكن أبوتها مخلصة، ومتى تخلى عنها الجميع، فتلجأ إلى احتضانات أخرى، العيش في الملاهي، ودور البغاء، والبحث عن انعتاق آخر لرغبتها الضائعة، ويتم استغلالها من قبل الآخرين، فالمرأة لها أنوثة مقدسة، تضيع بسبب لذة المال الزائفة، التي يبحث عنها الأب السافل.

المحمل السادس: مدح القبيح:

تبدى أن فاتحة مرشيد، تعظّم من قدر المرأة، والتعظيم بلغ مبلغ الاعتزاز بالقبيح فيها. إنها تعتبر أن الشك سمة إيجابية تمتاز به النساء، فشكهن يخول لهن معرفة أسرار لا يقدر الرجل على التطلع إليها، ولا إلى معرفتها، إن شك المرأة سمة سحرية بهذا الأساس، لا شيء قبيح في المرأة، وظن الشك أنه مسيء للعلاقة، يعد ظنا خاطئا، فشكها يمنحها قوة حدسية لمعرفة البشر وفهمهم. تستطيع من خلاله تمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والمحب من الغادر، والملاك من الإنسان. تمتلك قوة وذكاء خارقين، يسمحان لها بخلق المتعة في الحياة، المقطع الدال على هذا في الرواية ما يلي:

"أحترم ذكاءهن، هن أذكى من الرجال بكثير، أتعلم؟ لا توجد امرأة لا تشك في زوجها لأنها بقوة حدسها تفهم أكثر طبيعة البشر، وتفرق بين الإنسان والملاك. في حين لا يوجد رجل يشك في زوجته لأن غروره بفحولته يضع غشاوة سميكة على عينيه، بحيث يمكن لكل نساء العالم، في نظره الضيق، أن يصبحن عاهرات إلا زوجته وأمه طبعا. أليس هذا مطلق الغباء"[3].

الشك سمة محمودة في المرأة، وغرور الرجل بفحولته أمر قدحي فيه منقصة ومعيبة، حيث إنه لا يستطيع إدراك حقيقة الأنثى وقداستها، وينظر نظرة ضيقة إليها، بأنها أقل شأنا وشأوا منه، فالغرور في الرجل غباء، يخلق نظرة بأن جل نساء العالم عاهرات إلا زوجته وأمه، وهذا القول فيه رد وانتقاد على عبارة ذكورية مشهورة، تنسب إلى كتاب كثيرين، وهي قولهم: "كلهن عاهرات إلا أمي"، فهذه مقولة مأثورة، قيلت بعبارات متعددة هي كما يأتي:

- **يقول نابليون: كل النساء عاهرات ... حتى أمي عاهرة.**
- **يقول مثل فرنسي: كل النساء عاهرات ماعدا أمي من باب الاحترام.**
- **يقول نزار قباني: كل النساء عاهرات إلا أمي وليس احتراما لها ولكن تقديرا لأبي.**

تبين أن فاتحة مرشيد، تضمر نقدا لهؤلاء الذين ينعتون النساء بالعاهرات، معتبرة قولهم غباءً وسقما مرضيا، يكون مانعا لكشف حقيقة المرأة وبدائعها، والتأمل في إيروتيكية جسدها.

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[3] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

المحمل السابع: الخوف من الحب:

إن الحب مشقة وعذاب، فيه مضرة وملامة وسأم، يحتاج إلى قوة وصبر، يقتضي منك استعدادا له منازع تأملية، تبتغي المتعة والاستمتاع والتأمل. وتظهر الرواية جانبا اجتماعيا، يكاد يكون معمما عند فئة الشباب، إناثا وذكورا، وهو الخوف من التصريح بالحب، خشية ممانعة طرف من الطرفين. فللحب أسس ومبادئ، يجهلها عامة الناس، وجهلها سبب من أسباب الخوف من الحب، الذي يحب حبا حقيقيا لا يستطيع أن يصرح، والذين يبتغون متعة متناهية، يصرحون بحبهم بغية قضاء حاجة وانتهى الأمر. جاء في الرواية على لسان أمين، في التعبير عن مشاعر حبه لأحلام:

"أنا أحبك منذ زمن بعيد، ولم أجد طريقة للكلام معك، خوفا من والدك، وظننت أنك سوف تقدرين شعوري ومبادرتي"[1].

يخاف الرجل من التصريح لعشيقته بالحب، مخافة رفضها، أو في عجزه مثلا عن الزواج بها، نظرا لأن العطالة عن العمل، عطالة عن شيء، عن الحب والحياة. إذا، فالرجل يخشى ويخاف من الحب، وحتى المرأة ينطبق عليها الشيء نفسه، إلا أن النساء أقدر على كتمان حبهن عكس الرجال، فلا يقدرون على كتمان حبهم مدة طوية، والدليل على هذا ما قاله الجاحظ: **"إن الرجل يقوى على كتمان غضبه أربعين عاماً، لكنه لا يكتم حبه لساعة، والمرأة تكتم حبها أربعين عاماً، ولكنها لا تقوى على كتمان غضبها لساعة"[2].**

تقول الكاتبة: **"خوفنا من الحب هو الذي يدفعنا للمتعة دون عواطف، دون وعد بوجع جديد، بفقدان جديد، عندما تدفع ثمن متعتك بالكامل فأنت تتحرر من كل الوعود "[3].**

الخوف من الحب هو ما يمنحنا حق المتعة، وجوهرها الرئيس، يدفعنا للاقتراب من محاسنها، لولا الخوف منه لما حصلت المتعة وتحققت، به نتجاوز أوجاعنا ومفاجعنا، في الفقد والأتراح. أن تخاف من العشق هو أن تترقى إلى مدارجه العليا، وأن تتطلع إلى إدراك ذاتك، وكشف أحاسيسك المكتومة. على اعتبار أن الحب لا يحتاج إلى تعقيد، ينبغي أخذه بما يسر وسهل، تقول أحلام في الرواية لأمين: **"الحب لا يحتاج إلى كل هذا التعقيد".**

المتاعب والمصاعب التي يراكمها الإنسان، تكون سببا في التمنع عن السقوط في العشق، والخسارات التي تبديها أحداث الزمان، تقيدنا لنهتم بأنفسنا، والابتعاد عن الوقوع في الحب، هذا ما تضمره الكاتبة، في قولها: **"عندما تسرقنا الأعوام، ونكون قد راكمنا ما لا يحصى من خسارات وخيبات نصير كمن لقّح ضد مرض لعين، تصبح لنا مناعة مكتسبة ضد السقوط في العشق"[4].**

خيباتنا المستمرة والمتواردة، تكون حاجزا مانعا، لخيبات أخرى، هي السقوط في الحب، فهو سقوط من نوع آخر، يقتضي منك الحرص والحذر، للنجاة، وأيسر ما يجعله ميسرا هو كتمانه، ونصل مسألة كتمان الحب بما قاله ابن الصائغ في قصيدة "**سأكتم ما ألقاه يا نور ناظري"**

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظري ... من الأجر كيلا يذهب الأجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد ... ومن كان براً بالعباد وواصلا
بأن الذي في الحب يكتم وجده ... يموت شهيداً في الفراديس نازلا
رواه سويد عن علي بن مسهر ... فما فيه من شك لمن كان عاقلاً
وماذا كثيراً للذي مات مغرماً ... سقيماً عليلاً بالهوى متشاغلا

إذاً، فالخوف من الحب يقينا، من خيبات أمل، ومن سقوط مفجع، وحلاوة الحب وسمته، تتجلى في التكتم عنه. والحب بريء من الذنب، وبعيد عن الخيانة، وكل حب صاحب هذا فلا يسمى حبا، قال الشاعر[1]:

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2] – الجاحظ ، الرسائل، ج1، ص 140- 172، مرجع سابق.

[3] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[4] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

أُنَزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقْلَتي ... وأمنعُ نفسي أنْ تَنَالَ مُحَرَّما
وأَحْمِلُ مِنْ ثِقْلِ الهوى ما لَوَ انَّهُ ... يُصبُّ على الصّخْرِ الأَصَمِّ تَهَدَّما
وَيَنطِق طَرْفي عنْ مترجمِ خاطري ... فلولا اختلاسي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا
رأيت الهوى دعوى من الناس كُلِّهِمْ ... فَلَسْتُ أرى حُبّاً صحيحاً مسلّما

إنّ ثقافة العشق عند المغاربة، ملازمة لثنائية الخداع والجفاء، عشق مرتبط بالجفاف العاطفي، والبرودة في العلاقات، لا يمتلك الإنسان المغربي ثقافة التعبير عن مشاعره، وعواطفه للمعشوقة، وهذا متولد أساسا، من طبيعة التربية القمعية في الأسرة، فإن الطفل ينشأ ولا قدرة له على التعبير والتواصل، لا تمنح له الفرصة في قول ما يريد، ولذلك فعجزه عن البوح بمشاعر العشق لا تتم بالشكل التام، وموضع هذا في الرواية ما يلي:

"ليست لنا ثقافة العشق بالمغرب، ثقافتنا ثقافة كتمان وتستر، نتكلم عن كل شيء إلا عما يشكل جوهرنا، لا نبوح بعاطفة ولا نعبر عن رغباتنا، لقد أخذنا من الغرب جفافه العاطفي، أما شعب العراق فهو خلق للعشق، للشجن، للنجوى"[2].

فلا ثقافة نمتلكها في البوح، الثقافة الموروثة لدينا، هي الكتمان والتستر عن كل شيء، وينتج عن هذا فشل مجموعة من العلاقات، التي يكون فيها الزواج سلطويا، الذي لم ينشأ عن قبول عاطفي روحي، ولا غرابة في فشله، فلو كنا نملك ثقافة البوح، لأنتجنا علاقات يسودها الحب والفرح، وتنتج لنا المحبة والسعادة، وتسهم في خلق جيل تكون له المكنة في التعبير عما في دواخله من أحاسيس، **"فالحب الحقيقي لا يعرقل شغلنا بل على النقيض من هذا، يمنحنا طاقة إضافية وينمي مردوديتنا، ولهذا عندما يبدأ الشغل في الشكوى من حب يعرقله يجدر بهذا الحب أن ينسحب بكبرياء، قبل أن تمحو النهايات القبيحة جمال البدايات"[3].**

وقدمت فاتحة مرشيد بعدا رمزيا، للتعبير عن قيمة الحب وعظمته، بإيراد قصر تاج محل، وسبب بنائه، على اعتبار أن الحب كان سببا رئيسا في جعل شاه جاه، تاج محل، بوصفه ضريحا يخلد قصته الحقيقية مع زوجه ممتاز محل، ومدلول هذا أن الحب هو الذي ينتصر في النهاية، ويبقى خالدا ومستمرا، والنص الدال على هذا ما يلي:

"تاج محل، لم يكن قصرا بمعنى الكلمة بل ضريحا للزوجة الثانية، ممتاز محل، للإمبراطور شاه جهان الذي لفرط حزنه على فاتها ابيض شعر رأسه في ليلة واحدة وشيّد لها أعظم دليل على حبه، استغرق في بنائه سبعة عشر عاما، مخلدا بذلك "أروع دمعة أبدية على خد الزمن"[4].

المحمل التاسع: سلبيات الأسرة المغربية:

في الرواية مسألة سلبية، تمتاز بها الأم المغربية، وهي اتفاقها مع ابنتها على إهلاك الزوج والانتقام منه، وتقديم حيل السيطرة عليه، وتقديم خطط لجعله في مصيدتهن، ومن ثمة السيطرة عليه، بإكثار الطلبات عليه، وجعله مجرد عبد في المنزل، ومما تعلمه الأم لابنتها أنه كلما تمنع الرجل عن تلبية طلب ما، تمنع زوجه عن النوم معه، فتهجره إلى أن يلبي حاجاتها، وهذه من الأمور غير الشرعية، حيث إن المرأة ينبغي أن تمتع زوجها، ووصفت الرواية بأن الرجال كلهم كلاب، واستخدام لفظة كلب، لدلالة على اللهث، ووجه التشارك بين الرجل والكلب، هو اللهث على حاجتها ومتعتها. جاء في الرواية ما يلي:

---

[1]- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري، كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى)، ، تح: حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤، ج2، ص 779.

[2] - مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[3] - مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[4] - مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

"طلباتها لا تنتهي. ولو تأخرت في تلبيتها تقول لها أمها، أهجريه في الفراش، الرجال كلاب. لولا ضيق الحال لتزوجت عليها، لأعلمها كيف تهجر الرجال، البنات في الشوارع كالذباب يحط على كل شيء وبمائة درهم تقضي الغرض وترتاح لولا الخوف من ربنا، بنت الحرام، تبيع لي حقي الذي شرعه ربي، أخ من هذه الدنيا"[1].

المحمل العاشر: الخيانة بحثا عن المتعة

إن المرأة التي بلغت سن اليأس وفقدت أناقتها ونشاطها في الحياة، تبحث عن مطمح آخر لمتعتها، واستعادة أنوثتها، وجمالها، وههنا تلجأ إلى الخيانة لتبحث عن ملذات المتعة، ففي ظل عجز الزوج عن تحقيق متعتها، تخرج إلى الشارع، لتتصيد شابا يسد لها رغبتها، في التعبير عن أحزانها، ومشاعرها، وأحاسيسها، ولا يهمها ممارسة الجنس بقدر ما تسعى إلى البحث عن بديل للمتعة الممتدة واللامنقطعة. المقطع الذي يدل على هذه الجوانب هو كالآتي:

"لا بد أن أشرح لك وجهة نظري: أنا أفضل غرفة الفندق لأسباب أمنية إن صحّ التعبير، لا أبحث عن الجنس ولن أمارسه مع أحد غير زوجي، لكنني أحتاج إلى صديق، إلى أذن صاغية، إلى كتف حنون، إلى عاطفة سامية، كي لا أموت حزنا"[2].

متعة المرأة لا تنتهي، ولذلك فإنها ما تبحث دائما عن بدائل لمتعتها في الحياة، لا تريد أن تجعل لحظة واحدة من عمرها لحظة عابرة، بل تريد تخليدها بالمتعة، ولو ارتبط ذلك بالخيانة، المتعة مِخلَب يبيح للمرأة فعل أي شيء، ونلاحظ هذا في كثير من العلاقات الزوجية، التي تنتج الخيانة، فسبب ذلك هو انعدام الإحساس والمتعة بالحياة، وههنا تبلغ الكاتبة رسالة مضمرة، أساسها بعدم جعل المتعة منقطة في العلاقة الزوجية، فالدفء الحياتي والعاطفي لا بد أن يحضر كل يوم، ومتى غاب، ظهرت معه مخالب المتعة، المتجسدة في الخيانة.

وبتتبع شخصية أمين في الرواية، نكتشف مسألة هامة، ترتبط بحقيقة ممارسة الحب، بين النظرة الأولى المتخيلة في مرحلة العشق والحب، والنظرة الثانية بالعين المجردة، فكان أمين يتخيل بأن الجنس عالم آخر يكون في السمريات الليلية، مع جسد يرى فيه المثالية الأنثوية والجمالية، ويبني عليه خيالات شبقية. فتصوره عن الجنس في المخيال كان محمودا، وبعد تعيينه في دور الدعارة بدا له تصور آخر، جاء في الرواية ما يلي:

"لم يكن هذا تصوري عن الجنس وممارسته، أحسست بإهانة كبيرة كمن تعرض لاغتصاب، كنت ساعتها أحب أحلام، ابنة الجيران، وأحلم معها بلقاء سحري مع جسدها، لكن فطومة أسقطت كل السحر الذي كنت أحلم به"[3].

منطوق النص، أن الجنس في الحياة شيء زئبقي لا دور له في خلق المتعة، وينبغي التفكير في خلق متعة أخرى مع المرأة، فالجنس لقاء حميمي عابر، لا يدوم ولا يطول، وعليه، يجب النظر في متعة أخرى، لا مخالب لها. الحياة بين الزوجين غير مختصرة في ممارسة الحب، بل لها وجهات أخرى، تتعلق بالسفر، بممارسة أشياء أخرى، وهذا الأمر يبين مدى وعي الكاتبة بالمشترك الذكوري المغربي، فأغلبية الرجال، يلخصون المتعة في جسد المرأة، وهذا أمر معيب، فيه منقصة وخيبة أمل. العارفون بحق الحياة، لا تكون نظرتهم إلى المتعة في شيء واحد، إنما يبحثون عن بدائل جديدة، لتستمر الحياة بالمتعة الخلابة أو الربيعية، لا بالمتعة الخريفية ذات المخالب، التي تخلق الخيانة والغدر والانتقام.

وتنتج عن هذا الخيانة، مصائب متباينة، هي الطلاق، ومن ثمة، فتقدم الرواية نظرة المجتمع المغربي إلى النساء المطلقات، على أنهن عالة، وغير مخلصات، ومفسدات، ولم ينجحن في تكوين الأسرة، وفاشلات في ممارسة الأمومة، لذلك فلا يصلحن لشيء في هذه الحياة. وهذا الإهمال يخلق شرخا مدمرا لحياتها، فتبحث عن بديل للعيش، يرتبط بالمتعة، ومتعتها لا تكون ربيعية، بل هي متعة ذات

---

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[2] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

[3] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

مخالب، تلجأ فيها إلى الدعارة أو ما شابه. ورسالة الكاتبة، هي الدعوة إلى احتضان المطلقات، واحترام أنوثتهن، فهن نساء أيضا، لهن مشاعر وأحاسيس، والفشل في الزواج، ليس معناه الفشل في الحياة. المقطع الدال على هذا المضمر هو كالآتي:

"فهمت أن التهمة الكبرى بهذا البلد السعيد، هي كوني امرأة مطلقة، فأذعنت للظروف التي قادتني إلى هنا، وراه كاينا ظروف، وراه كاينا ظروف يا السي أمين"[1].

المشترك الحسي لدى المغاربة في الرواية، متطابق مع الواقع المغربي، حيث إن نظرة الناس إلى المرأة المطلقة، نظرة ناقصة وضيقة، وعليه، فدعوة فاتحة مرشيد إلى احتضانها، دعوة مشروعة.

خاتمة:

فالأدب النسوي المغربي، في مجال الكتابة السردية، أدب خصيب، يتولد عنه أدب آخر، بفعل التداعيات التناصية بين نصوص وأفكار أخرى، إنه أدب ولاّد لأدب جديد، بفعل ارتباطه بما هو فكري من جهة، واجتماعي من جهة أخرى، فلقد تبدت نجاعة هذا الأدب في إصلاح واستصلاح الواقع الاجتماعي المغربي والتعبير عن واقعه في رواية مخالب المتعة الخصيبة، التي كلما قرأتها نطقت لك بمضمرات متعددة، فالأدب النسوي المغربي يضمر أشياء لا متناهية، من المعاني والدلالات، وتأتى هذا الجانب، من خلال الاقتراب من الموضوعات، التي بثت في مخالب المتعة، فهي مواضيع متنوعة، نجد أكثرها متعلقا بالجانب النسوي، دفاعا عن قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع. ولمخالب المتعة شعرية أدبية، تجلت في تصوير الواقع، خاصة المسائل المتعلقة بالحب والجنس، ومطالب الشباب، ومناحي الحياة المرتبطة بالمتعة، والآفاق المشروعة لخلق متعة إيجابية ودائمة. وعبر شخصيات الرواية عبّرت الكاتبة عن مواقف اجتماعية، تتطابق مع الواقع المغربي المعيش، سواء المتعلقة منها بالمرأة أو الرجال. والأساس من هذا العمل، أن فاتحة مرشيد، تحتفي بالأنوثة مكسرة قيد الهيمنة الذكورية، بخلق فسحة تأملية، تقدر فيها قيمة المرأة في أنوثتها لا في جسدها، وباحتضانها والإعلاء من شأنها، ومن ثمة، فقد اقتربنا من عمل سردي أدبي نسوي، يمزج بين الخيالي والواقعي، والأدبي والفكري، تعبيرا عن أنساق فكرية، واجتماعية، وثقافية، وأدبية، وخاصة المتعلقة بالمجتمع المغربي عموما، والمرأة المغربية تخصيصا.

[1] – مخالب المتعة، 2013م، مرجع سابق.

لائحة المصادر والمراجع:

- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الرسائل للجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م».
- أبو الفتح عيسى بن البحتري الحلبي، أنس المسجون وراحة المحزون» صفيّ الدين، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م.
- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت / لبنان.
- إبراهيم نصر الله، حرب الكلب الثانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط/ 2016م،.
- ميلان كونديرا، حفلة التفاهة، ترجمة معن عاقل، المركز الثقافي العربي، ط1/ 2014م
- فاتحة مرشيد، رواية مخالب المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013م.
- أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري، كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى)، تحقيق: حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤، ج2.
- تيري ايغلتون، كيف نقرأ الأدب how to Read littérature، ترجمة محمد درويش، مراجعة وتحرير، مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1/ 2013م.
- طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م.